كلمة فضيلة الشيخ

علي الطنطاوي

الفائز (بالاشتراك) بجائزة الملك فيصل العالمية

لخدمة الإسلام لعام ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء
ورئيس الحرس الوطني
أصحاب السمو
أصحاب الفضيلة والمعالي

أنا أخطب وأكتب من ستين سنة، ولكنني عجزت اليوم عن أن أكتب هذه الكلمة، ذلك لأنها في موضوع جديد عليّ، ما مر علي مثله، وهل نلت جائزة عن عملي قبل هذه الجائزة؟ بل هل فكرت فيها، أو توقعتها؟

لقد تعودنا أن نرى الإكرام لا يأتي إلا بعد أن يذهب المرء من هذه الدنيا، فنحن نكرم الأموات بعد موتهم ونهملهم في حياتهم، وإن منحناها أحدًا من الأحياء، تخيرنا من كان خراجًا ولاجًا، يخالط الناس ويداخلهم. أما من كان مثلي معتزلاً، قد اشتمل عليه بيته، لا يتصل بالمجتمع إلا من كوة الإذاعة أو الرائي، أو من خلال سطور المجلة أو الجريدة، فلا يذكره أحد ولا يلتفت إليه أحد. ثم أن الجوائز لا تُمنح عادة إلا لمن يسعى إليها ويتخذ الوسائل لنيلها، أما أن يفتح على الهاتف فيقال: قد نلت جائزة فيصل العالمية وأنا خلي الذهن منها، لا أفكر فيها فضلاً عن أن أتوقعها، فهذا هو العجب، وهذا ما كان.

وجائزة الملك فيصل – رحمه الله – جليلة في معناها وفي الدوافع إليها. لا أقول هذا الكلام اليوم لأنني نلتها، بل لأن هذه هي الحقيقة التي لبثت أقولها من سنين. فقد عمل فيصل، وأبو فيصل من قبله، وأخوه فيصل من بعده لنشر الحق، ونصر الخير حين عملوا للإسلام الذي هدي إلى شريعة الخير ودين الحق. فجائزة الملك فيصل تثبيت للإحسان وترسيخ لأصوله. والتكريم الأكبر أنهم جعلوني جنديًا صغيرًا في فرقة خدام الإسلام. وخدمة الإسلام شرف للخادم لا سد حاجة في المخدوم. الإسلام

لا يحتاج إلى أحد لأنه قوي في ذاته. ضعوا مصور العالم الإسلامي أمامكم وانظروا إلى البلاد التي دخلها الإسلام أيام الفتوح والبلاد التي دخلها بعدما طويت راياتها ووقفت عن السير جيوشها ولم يعد للمسلمين فتح جديد. من الذي أدخل الإسلام في اندونيسيا وأعماق ماليزيا والفلبين؟ ومن الذي أدخله – بعد – إلى كوريا وإلى اليابان وإلى المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا، إنه مشى بنفسه، حملة تجار ما كانوا متفرغين للدعوة، ولا كانوا كالمنصِّرين الذين كنا ندعوهم بالمبشرين، يمدهم الناس بالأموال ويعدون لهم الوسائل.

فلله الحمد ثم الشكر لك أن شرفتموني باعتباري جنديًا في خدمة الإسلام

*****

خدمة الإسلام – كما قلت – شرف للخادم، أما الإسلام فإنه قوي بقوة الله. إنه مهما حاق به من شدائد، وما اجتمع له من خصوم، ومهما وُضِعَ لحربه من خطط، فهو المنتصر أخيرًا. انظروا إلى تاريخه الطويل كم مرت عليه من أيام ظن أنها أيامه الأخيرة، وإذا به يرجع كل مرة شابًا قويًا.
لما كانت الردة، ظن ضعاف النفوس أنها نهاية الإسلام، فماتت الردة وعاش الإسلام. ولما كانت الحروب الصليبية وساقت دول أوروبا كلها جيوشها علينا، لم تكن إلا أن قام مسلم تركي ومسلم كردي فنشرا راية الإسلام وضربا بسيف محمد، فرد الله جيوش أوروبا كلها عنا، وكان الظفر لنا. ولما دهمنا سيل المغول، فجرفت دول الإسلام في الشرق وسقطت بغداد – فكانت أعظم مدن الأرض – ولم يبق إلا مصر، ومصر ضعيفة يحكمها مماليك صيرهم الدهر ملوكًا، فلما عادوا إلى إيمانهم، وقاتلوا لله لا للدنيا، نصرهم الله في "عين جالوت" نصرًا لا يزال كُتَّاب التاريخ مُندهشين منه إلى اليوم.

وما ذهبت قوة الإسلام الآن ولا فقد جنده عزتهم، بل أن الظفر لهم: (وإن جندنا لهم الغالبون). وها كم الأمثلة ظاهرة: مثل هؤلاء المجاهدين في الأفغان، يقاتلون الدولة القوية، دولة السوفييت. بل ها كم المثل القائم اليوم: أولاد صغار في مواجهة مدربين، يلقون الحجارة بأيديهم الصغيرة على جيوش دول باغية وضعوا في يدها أغنى الأسلحة وأشدها وأكثرها فتكًا – ومرت الأيام، وانقضت السنة الأولى والثانية ودخلت الثالثة، وهؤلاء الأولاد ثابتون في وجه الدولة الباغية المعتدية التي سموها (دولة إسرائيل).

يا سادتي، الوقت الذي منحته قصير، والكلام الذي أردته كثير، فسأختم ما أقول بكلمة واحدة: إن رسول الله لم يورث أحدًا درهمًا ولا دينارًا. ما أورث رسول الله إلا هذه الدعوة إلى الإسلام، إلى الحق، إلى الخير، إلى ما ينفع الناس. فمن شارك فيها وكان من خدامها، كان له حظ من إرث النبوة، وكان من المجاهدين.